قوائم المحتويات متاحة على المجلات الاكاديمية العراقية

مجلة رؤية للدراسات الاجتماعية

الصفحة الرئيسية للمجلة: http://185.23.154.237:8084/Account/Login

تطور الفكر الديني للأقوام الآرية الايرانية واثره في ديانة الملوك الاخمينيين: دراسة تاريخية تحليلية

The Evolution of Religious Thought among the Iranian Aryan Peoples and Its Impact on the Religion of the Achaemenid Kings: A Historical-Analytical Study

م.د انتظار صبار هادي [١، *]

[١] الجامعة العراقية – رئاسة الجامعة، قسم شؤون الطلبة والتسجيل العام، العراق

Keywords
Religious Thought, Aryan Peoples, Zoroastrianism, Achaemenid Kings, Ancient Iran, Religion and Politics

Abstract

This study examines the evolution of religious thought among the Aryan peoples in ancient Iran, emphasizing its influence on the religious system of the Achaemenid kings. It investigates the early Aryan religious traditions, their parallels with the Vedic religion, and the role of geography and social structures in shaping distinctive religious patterns. The research further explores the transformation of Aryan beliefs from primitive forms of nature worship into the more systematic doctrines of Zoroastrianism, which later became the foundation of the Achaemenid imperial creed. The study argues that religion functioned not merely as a spiritual practice but as a central instrument for consolidating political authority and legitimizing imperial power in ancient Iran.).

معلومات المقال

تاريخ المقال:
الإرسال: ٢٠٢٦/١/١١
المراجعة: ٢٠٢٦/١/٢٠
القبول: ٢٠٢٦/٢/١

الكلمات المفتاحية:
الفكر الديني، الأقوام الآرية، الزرادشتية، الملوك الأخمينيون، إيران القديمة، الدين والسياسة.

ملخص

تتناول هذه الدراسة تطور الفكر الديني عند الأقوام الآرية الإيرانية، مع التركيز على أثر هذا التطور في تشكيل ديانة الملوك الأخمينيين. وقد استندت إلى تحليل الموروثات الدينية الآرية الأولى، ومقارنتها بالديانة الفيدية، ورصد دور البيئة الجغرافية والاجتماعية في بلورة السمات الدينية المميزة. كما تسعى الدراسة إلى إيضاح كيفية انتقال الفكر الديني من مرحلة بدائية قائمة على تقديس قوى الطبيعة، إلى نسق أكثر تنظيمًا تجسد في الزرادشتية، ثم توظيف هذا النسق في خدمة المشروع السياسي والديني للأخمينيين. وتخلص الدراسة إلى أنّ الدين لم يكن مجرد جانب روحي بل شكل أداة رئيسة في بناء السلطة وتحقيق الشرعية التاريخية في إيران القديمة.

* **Dr. Indihar Sabar Hadi, intizar.s.hady@aliraqia.edu.iq**

١ . مقدمة

شهدت الهضبة الإيرانية عبر تاريخها القديم تفاعلات حضارية وثقافية كبرى، وكان للفكر الديني عند الأقوام الآرية دور أساسي في صياغة هوية هذه المنطقة. فالهجرات الآرية التي بدأت منذ الألفية الثانية قبل الميلاد جلبت معها منظومة من المعتقدات والطقوس المرتبطة بالطبيعة والسماء والنار والمياه، ثم أعيد تنظيمها في ضوء البيئة الجغرافية والاجتماعية لإيران القديمة. وقد شكلت هذه الموروثات الفكرية والدينية الخلفية التي مهّدت لظهور الزرادشتية، ثم لتبلورها في ظل الدولة الأخمينية، حيث وظفت العقيدة لأغراض سياسية ودينية كبرى. ومن هنا فإن دراسة هذا الموضوع تسهم في فهم أعمق للعلاقة بين الدين والسياسة في حضارة تعد من أعرق حضارات الشرق القديم.

أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى تحقيق جملة من الأهداف، أبرزها:

- تحليل الجذور الدينية للأقوام الآرية قبل ظهور الزرادشتية.
- تفسير أثر هذه المعتقدات في نشوء الفكر الزرادشتي.
- بيان انعكاس ذلك في ديانة الدولة الأخمينية.
- توضيح العلاقة بين الدين والسياسة في إيران القديمة.
- تسليط الضوء على دور العقيدة في بناء الإمبراطورية وتثبيت هويتها الفكرية والثقافية.

إشكالية البحث:

تكمن إشكالية هذه الدراسة في البحث عن الكيفية التي أسهم بها الفكر الديني عند الأقوام الآرية في صياغة عقيدة الملوك الأخمينيين، وكيف استطاع هؤلاء الملوك توظيف الموروث الديني القديم في تعزيز سلطتهم وتثبيت شرعيتهم. كما تتمثل الإشكالية في تتبع مراحل تطور الفكر الديني من صورته الأولى إلى الزرادشتية، ومن ثم إلى العقيدة الرسمية للأخمينيين، مع محاولة تفسير العلاقة بين الموروث الشعبي والديني والتوظيف السياسي الرسمي.

منهجية الدراسة:

اعتمدت الدراسة على المنهج التاريخي التحليلي، الذي يقوم على جمع النصوص والمصادر القديمة، مثل النقوش الملكية الأخمينية، والمرويات الكلاسيكية اليونانية، إلى جانب الدراسات الحديثة المتخصصة في تاريخ الأديان الإيرانية ، إضافة إلى توظيف التحليل الأنثروبولوجي لفهم العلاقة بين البيئة الطبيعية والأنساق الدينية. ويتيح هذا التداخل المنهجي تقديم رؤية شاملة تفسر تطور الفكر الديني وأثره في البنية السياسية للأخمينيين.

٢. المبحث الاول: الأصول العقدية للأقوام الآرية الإيرانية وتكوّن بنيتها الدينية.

٢. ١. المطلب الاول: نشأة المعتقدات الآرية الإيرانية في ضوء الهجرات والاستقرار وتشكّل التصور الكوني والأخلاقي.

ان دراسة معتقدات الاقوام الآرية الايرانية تمثل المدخل الاساس لفهم طبيعة الديانة الاخمينية ،اذ ان الاخيرة تشكلت في سياق تطور تاريخي تراكمي امتزج فيه الموروث الديني القديم بمتطلبات السلطة والنظام الامبراطوري.

و إنّ دراسة الفكر الديني عند الأقوام الآرية في إيران القديمة تقتضي أولاً التوقف عند مسألة الهجرات الآرية إلى الهضبة الإيرانية وما ترتب عليها من تحولات ثقافية وحضارية. فالمصادر اللغوية والأثرية تفيد بأن هذه الأقوام، التي تُعد أحد الفروع الرئيسة للشعوب الهندو أوروبية،آلارية – الإيرانية التي دخلت ايران في بداية الالف الأول قبل الميلاد عقائد بدائية مشتركة، إذ جلبت معها المعتقدات الدينية السائدة بين الاقوام الهندو آوربية في مستقراتها الأولى، وبقيت تحتفظ ببعض خصائصها المميزة، ذلك كون هذه القبائل كانت ماتزال قبائل رحل غير متحضرة، لايجمعها كيان سياسي، فأخذت تتأثر بالمعتقدات الدينية للبلدان المجاورة لها كالعيلاميين والاشوريين والبابليين من خلال الاحتكاك بهذه الاقوام(محمد،٢٣١،١٩٩٦).

فنجد هذه الاقوام آلارية الإيرانية قد قدست وامنت بمظاهر الطبيعية والاجرام السماوية فجسدوا هذه الظواهر الطبيعية على هيئة آلهة والتي تمثل قوى أخلاقية وآراء معنوية مجسمة، واخذت هذه العبادة طابع الخصوصية(خطاب،١٤،١٩٦٥)، فعبدوا الشمس وجسدوها بهيئة آله اطلقوا عليه تسمية الآله (ميثرا)، وعدت الشمش في الدين الزرادشتي عين اهورامزدا(لوكوك،١٣٨٢،١٦٨) وعبدوا القمر والذي يمثل الإله (ماه)، وهو يأتي بالمرتبة الثانية بعد الاله ميثرا ، وقد أقيمت له عدد من المعابد أهمها واشهرها معبده

الخاص في اكبتانا، كما وعبدوا الأرض وجسدوها بهيئة إله اطلقوا عليه تسمية الإله (زام)، والرياح باسم الإله (فاهيو)، والماء باسم الإله (افام نفت)، والنار باسم إله (آثار) (رضى،١٣٨٤، ٣٤٩).

ويبدو أن تعدد هذه الإلهة عند القبائل آلارية الإيرانية عائد إلى فكرة الصراع الثنوي، بمعنى الصراع الدائم ما بين قوى الخير والشر، لذا نجدهم كانوا يطمحوا بالدرجة الأولى لاسترضاء إلهة الخير (عبر تقديم القرابين وتلاوة التراتيل الدينية) لتمنحهم الحماية وتبعد عنهم الأرواح الشريرة (الديو) (ديورانت،١٩٤٩، ٤٣٤، ٤٣٣).

وكانت هذه القبائل تؤمن بحياة ما بعد الموت' فأعتقدت بوجود أرواح للموتى (اسرافهم)، وان لتلك لأرواح قوى تستطيع ان تحميهم من مخاطر الحياة، لذك عرفت هذه الاقوام الآرية عبادة العرق والاسرة والتي تتجسد في عبادة أرواح اسلافهم القدماء، فحرصوا على تقديم القرابين لهذه الأرواح وكانوا يرون ان هذه الطقوس يجب قيامها من قبل الوالدان (الزوج والزوجة)، ذلك ان عدم تقديم القرابين سوف يؤدي إلى ذهاب تلك الأرواح عنهم وبالتالي تزول البركة والنعمة عن المترل، كما واعتقدوا ان للنار (نار المترل) دوراً مهم في وجود تلك الأرواح فهي تساعد في انتقل الحياة او حماية الأب إلى الابن عن طريق الأم او الزوجة(لوبون،٢٠٠٩، ٢٦٢).

ومما تجدر الإشارة اليه ان القبائل الآرية قد قدست مظاهر الطبيعة سيما (الأرض، والسماء، والهواء، والنار) إضافة إلى عبادتهم أرواح الاسلاف والاجداد فقد امنت بقدسية بعض الحيوانات سيما الثور، الذي بحسب معتقداتهم هذا الحيوان بعد ان يموت ويبعث للحياة فأنه يستطيع منح الانسان صفة الخلود، وذلك عن طريق شرب دم هذا الحيوان.

كما وكانت هذه القبائل تعبد نبات الهوما المسكر (وهي عشبة تنمو في سفوح جبالهم لاسيما جبال البرز) وذلك بشرب عصير هذه النباتات(ديورانت،١٩٤٩، ٤٢٥).

ونجد الفكر الديني للقبائل الآرية الإيرانية قد مر بمراحل بدائية ثم ما لبث ان تطور إلى فكرة الصراع الثنوي ما بين قوى الخير وقوى الشر' كما وكانت عبادة الإله زروان من اقدم العبادات الناضجة في تاريخ الشعوب الآرية، وتعود هذه العبادة بجذورها إلى بداية الألف الثالث قبل الميلاد وهي بذلك عبادة وجدت عند الاقوام الهندوأوربية، بمعنى ان القبائل الآرية قدر عرفت هذه العبادة قبل دخولها إلى ايران.

ويعد الإله زروان أبا الإلهة وكبيرهم، وهو إله الخير وخالق كل شيء ثم صار إله الزمن، ذلك مع بداية ظهور الدولة الميدية على مسرح الاحداث السياسية، وهذا التطور في عبادة الإله زوران حدث مع بداية الألف الأول قبل الميلاد وقد شمل تطوراً في شؤون المعابد الخاصة بهذا الإله اذ لم تكن هنالك معابد لعبادة هذا الإله قبل هذا التاريخ، فقد كان زعيم القبيلة يقوم بأداء الطقوس وتقديم القرابين في العراء للإله زروان، لكن لاحقاً عثر على ابنيه أنشئت لغرض إقامة طقوس خاصة بجنائز الموتى، إلا أن هذه الأبنية صارت فيما بعد دار خاصة لعبادة زروان في بداية القرن السابع قبل الميلاد(كرستنسن،١٩٨٢، ١٤١-١٤٣).

ويتضح لنا مما تقدم ان تطوراً دينياً حدث عند الشعوب الآرية الإيرانية، بدلالة تحول هذه الشعوب من عبادة المظاهر الطبيعة القائمة على الشرك وتعدد الإلهة والايمان بفكرة الصراع الثنوي الدائم ما بين قوى الخير وقوى الشر، وظهور العقيدة الزروانية والميثرية والتي تجسد ذلك الصراع، ومما يؤكد ذلك التطور نجد ان معظم هذه المعتقدات قد انصهرت في العقيدة الزرادشتية التي ظهرت في منتصف القرن السادس قبل الميلاد.

٣. المبحث الثاني: العقيدة الزرادشتية وإعادة صياغة الفكر الديني الإيراني.

٣. ١. المطلب الاول: الأسس العقدية والتعاليم الزرادشتية وأثرها في تنظيم المفاهيم الدينية وإبراز البعد الأخلاقي.

تعد الزرادشتية من اهم الديانات الوضعية التي ظهرت في مطلع القرن السادس قبل الميلاد في بلاد ايران، ولم تظهر هذه العقيدة إلا بوصفها رد فعل قوي إزاء العبادات الآرية البدائية القائمة على الوثنية وتعدد الإلهة(الكرعاوي،٢٠١٢، ١٣٩)، فنجد معظم هذه المعتقدات قد انصهرت في العقيدة الزراداشتية التي جاء بها زرادشت والتي مبن خلالها تبلور الفكر الديني الإيراني بصورته النهائية.

اما المبدأ الذي أقيمت عليه العقيدة الزرادشتية فهو ان العالم خلق من اصلين قديمين الخير والشر أو عالم النور (اهورامزدا)، وعالم الظلمة (اهريمن)، وكان عالم النور في الجهة العليا وعالم الظلام في الجهة السفلى بينهما فراغ مملوء بالهواء، وبدأ اهورامزدا بخلق العالم فخلق أولاً السماء فجعلها سياجاً للعالم، ثم خلق البحار والأرض والجبال ثم انبت النباتات، فالحيوانات (الذي هو الثور الأول ومنه

اوجدت سائر الحيوانات)، ثم خلق الانسان (كيومرث) (الذي هو أول البشر)، وبعد ان انتهى اهورمزدا من خلق كل شيء جعل الأرض حاجزاً بينه وبين عالم اهريمن(مظهر،٢٩٨،١٩٩٥).

وبالمقابل خلق أهريمن الشياطين والأرواح الشريرة ليهاجم بها عالم اهورمزد،وقد بقي عالم النور (اهورمزدا) وعالم الظلمة (اهريمن) متجاوران يعيشان بهدوء مدة ثلاثة الأف سنة، لكن بعد هذه المدة يرى اهريمن عالم النور الذي خلقه اهورمزدا ويشعر بالغيرة والحسد فيما حاول الولوج إلى هذا العالم، وبعد محاولات عدة ينجح اهريمن في الوصول إلى عالم النور، ويبدأ بخلق جميع موجوداته الشريرة مثل الامراض والشيخوخة والكذب والحشرات والافاعي والعقارب، ونجح بقتل الثور وكيومرث، اما كيومرث كانت مدة بقائه في الأرض قبل ان يقتله اهريمن ثلاثين سنة فلما مات خرجت من صلبه نطفه غاصت في جوف الأرض، وبعد أربعين ألف سنة نتج من هذه النطفة شجرة وجد منها اول زوجين من البشر احدهما ذكر والآخر انثى اطلق عليها تسمية (ماشيا وما شيانه) اللذان اصبحا أصلاً لجميع بني البشر(مظهر،٢٩٩،١٩٩٥).

ومن هنا يبدأ الصراع ما بين قوى الخير (اهورمزدا) وقوى الشر (اهريمن) وقد كان للإنسان دور مهم في هذا الصراع، ذلك ان الانسان يعد في الديانة الزرادشتية الموجود الحر الذ ي يستطيع بمحض ارادته ان يختار الخير او الشر، فإذا ما اختار طريق الخير والحق فهو بذلك يساعد ويدعم اهورمزدا في تحقيق الانتصار على اهريمن طريق الشر والكذب(السواح،٨٣،٢٠٠٤).

وبعد مضي ثلاثة الأف سنة من خلق العالم يظهر زرادشت الذي يهدي العالم إلى طريق الحق، لكن ميلاده لم ينه الصراع القائم ما بين قوى الخير وقوى الشر، بل اذن بتحول النصر وتراجع الظلام عن عالم الخير، وفي هذا الوقت يكون قد بقي على نهاية العالم ثلاثة الأف سنة يظهر مطلع كل الف سنة منها مصلح يولد من نسل زرادشت يعرف بأوشاوشيناط (oushaulshlnat) أي (الرجل العالم)، وعند ولادة اخر المصلحين تبدأ المعركة الأخيرة الفاصلة ما بين الخير (اهورمزدا) والشر (اهريمن) والتي يهزم فيها اهريمن ويسقط في عالم الظلمات إلى الابد(السواح،٢٠٠٤،80).

وامن أصحاب هذه العقيدة الزرادشتية بأن زرادشت هو خاتم الأنبياء ومن نسله سيكون مخلص البشر من الشر والخطيئة، كما ويرون ان كل ما موجود في العالم من شر وشياطين وامرض وكذب هي من صنع اهريمن، وينفون ان ما موجود في العالم من هذه الشرور هي من صنع اهورمزدا(كفاحي،٢٠،١٩٧١)، وعلى ذلك الأساس اختلفت آراء المؤرخين بشأن مفهوم هذه العقيدة، هل هي عقيدة توحيد أو عقيدة شرك ثنوية، فحاول بعض الباحثين اثبات مبدأ التوحيد في هذه العقيدة مستنداً الى تفسيره لاسم الإله اهورمزدا في الافستا، فهذا الاسم جاء في الافستا مركب من ثلاث كلمات هي (اهو) و(را) و(مزدا) وتعني (أنا، وموجود، وخالق) ويشير هذا المعنى في مجمله إلى الذات الأحدية المتفردة بالوجود الذاتي، والذي يعد كل وجود لسواها وجوداً عرضياً زائداً، وتستقتل هي وحدها بالموجود الحقيقي. ومال فريق اخر من الباحثين إلى تأكيد ان الثنوية في الديانة الزرادشتية هي ثنوية في الظاهر فقط، مستندين في رأيتهم إلى فكرة الصراع والتنافس ما بين قوى الخير والنور (أهورمزدا) وقوى الشر والظلام (اهريمن) والذي سيحسم بالنصر لصالح قوى الخير، الذي سينفرد وحده في حكم العالم إلى الابد، لكن في حقيقة الامر إذا امعنا النظر في مفهوم هذه العقيدة نجد ان زرادشت نفسه اعترف بوجود قوى إلهية أخرى إلى جوار اهورمزدا كانت تنافسه في ملكه، إضافة إلى تأكيد المعتقد الزرادشتي على أن إلهي الخير والشر كانا متجاورين لمدة ثلاثة الاف سنة قبل خلق العالم، وذلك دلالة على ان الاثنين وجدا منذ الازل (السواح،٢٠٠٤،80-٨٨).

فنجد مبدأ الثنوية قد وجد في العقيدة الزرادشتية منذ بداية التكوين حيث ان الالهة الخالقة هي إلهي الخير والشر والذي عبر عنهما زرادشت بالتوأم "منذ البدء أعلنت الروحان التوأمان عن طبيعة كل منهما، الطيبة والشريرة "سبينتا مينتو وانكرا مينيو" (فكر طاهر وفكر غير طاهر)، ولكليهما تقريباً الخصائص نفسها لكن بالتضاد والازدواجية، فوجود الخير والشر على الأرض، النور والظلام في الطبيعة، المعرفة الخيرة والمعرفة الشريرة، الحياة والموت، الصحة والمرض، العدل والظلم... الخ، وكل الفعاليات المتناقضة التي يمارسها الانسان، لذا فأن اهورمزدا لا يرغب ولا يفعل الأخير وأرادته كلها خيرة على عكس اهريمن الذي كله شر وأرادته شريرة، والذي لا يستطيع ان يخلق الأمور المادية في الانسان والحيوان والجمادات لذلك هو يحاول جاهداً ان يدخل اليها النقص من خلال ادخال الشرور اليها من المرض والموت والشيخوخة إلى اخر ذلك(الشمري و رنا،٢٠٠٠،١١٨).

وعلى الرغم من ذلك لم يغفل زرادشت ان الوجود الحقيقي هو لقوى الخير والنور والحق اما الظلام والشر وما يماثلها في الفعل فهي توابع لازمة لهما، وليس لها وجود حقيقي، وشبه تبعية الظلام والشر للنور والحق والخير بالظل للإنسان، فعادة ما يرى انه موجود وهو ليس بموجود، فخلق الله النور والخير، وخلق تبعاً لهما الظلام والشر، فرأى انه لاقوام للوجود إلا في التضاد، وبالتضاد تنسجم الحركة في الوجود وتتكامل عناصر الحياة.

وفي الصدد عينه فقد جاء فراس السواح برأى مفاده: "ان المعتقد الزرادشتي تميز بابتكاره لمفهوم الوحدانية الثنوية، ووصف الثنوية هنا لا يلغي صفة الوحدانية، لأن مفهوم الثنوية الزرادشتية يقف في تعارض مع مفهوم التعددية، ولكنه لا يتعارض مع الوحدانية بل يتلازم معها، ذلك انه يقدم اكثر التفسيرات منطقية لوجود الشر في العالم، فالاله اهورامزدا واحد ولا ثاني له في الإلوهية خالق كل شيء طيب وحسن ولكنه ليس مسؤولاً عن وجود الشر في العالم، ولم يكن ليرتضي وجوده منذ البداية بل سعى إلى مكافحته بكل السبل والوسائل وسوف ينتصر اهورامزدا على اهريمن في معركة تمتد على مدى تاريخ الكون والانسان، ويشهد نهاية هذا التاريخ عليه جند الحق على جند الظلم والشر واختفاء الشيطان واعماله إلى الابد(السواح،٢٠٠٤،82-٨٣).

وكان لأهورامزدا كما وصفه زرادشت سبعة صفات او مظاهر هي "النور، والعقل، والخير، والحق، والسلطان، والإحسان، والخلود"، وبعد وفاة زرادشت احدث رجال الدين تغيراً كبيراً في هذه الديانة اذ عملوا على إعادة الهتهم القديمة، وذلك ان مثلوا تلك الصفات في صورة كائنات اسموها الكائنات الخالدة (اميشاسبنتا) وجعلوها تأتمر بأمر الإله اهورامزدا، وبذلك تحولت الديانة الزرادشتية بعد وفاة زرادشت من المبدأ الثنوي إلى فكرة تعدد الإلهة، وهذا ما جعل البعض يصف الزرادشتية في صورتها المتأخرة بالتوحيد الناقص(محمد،١٩٩٦،٢٣٧).

وقد امتازت الديانة الزرادشتية بأنها قامت على أساس مبدأ اعمام الخير وابادة الشر، والسبيل إلى ذلك تقوية الانسان ونشر العمران، كما وتحث الزرادشتية على السعي في الأرض من اجل العمل وكسب الرزق، فعدُ العمل في المعتقد الزرادشتي وسيله يتقرب به الاسنان إلى الإله اهورامزدا، وان اتقان الانسان لعمله هو تهذيب للنفس، وهو الطريق للعيش في عالمٍ خالٍ من الكذب والشر(وافي،٢٠٠١،١٧٢).

وان العمل هو ملح الحياة، ولكن لا يعبر عن شخصية الانسان بما يعمل ويقول فحسب، بل بما يفكر أيضاً، فعلى الانسان ان يتحلى بصدق النية، وصدق القول والفكر، وصدق العمل، وان الاخلاق في تعاليم زرادشت تتلخص في "الفكر الطيب، والكلام الطيب، والعمل الطيب، بدلالة ما جاء قوله في الافستا: **"أيها الناس قوموا ومجدوا افضل العبادات في ثلاثة أشياء صالحة هي، القول الطيب، والعمل الحسن، والفكر والنية الحسنة، ولا توجهوا اليها ظهوركم"**، وكان هدف زرادشت من هذه التعاليم ان يجعل الانسان يتغلب على الشكوك والرغبات الشريرة من خلال العمل، وان يتغلب على الجشع بالقناعة، وعلى الغضب بالسكينة، وعلى الحسد بالاحسان، وعلى الباطل بالحق، وان اتباع الانسان لتلك التعاليم سوف يجيى في عالم خالي من الرذائل والشر والكذب(يوسفي،٢٠١٢،٦٠)

أ. زرداشت (حياته – نشأته)

لقد اختلف العلماء والباحثين بشأن شخصية زرادشت، فمنهم من انكر وجود زرادشت وعد شخصية اسطورية خرافية، اما الذين اكدوا وجوده فقد اختلفوا في تاريخ ومحل نشأته الأولى ومولده، وذلك بسبب وجود ثلاثة من الحكماء عرفوا باسم زرادشت عاشوا في مختلف البلدان، وكان هذا الاسم بمثابة لقب ديني لهم(يوسفي،٢٠١٢،٤٤).

ولا توجد هنالك مصادر تاريخية مباشرة تعيننا على رسم صورة كاملة عن حياة زرادشت، لكن نستطيع تكوين صورة تقريبية عن حياته وتاريخه اعتماداً على ما ورد من معلومات عن حياته في اهم واقدم جزء من أجزاء الافستا وهو ما يسمى بـــ(الكاتاها – Gathas) وهي مجموعة أناشيد او قصائد شعرية من الافستا القديمة كتبها زرادشت نفسه بمساعدة بعض تلاميذه، وقد كتبت باللغة الفارسية القديمة وفي هذه الأناشيد، أو القصائد نستيطع تكوين صورة تقريبية يمكننا مقارنتها مع ما جاء في المصادر اليونانية التي تعود إلى القرنيين السادس والخامس قبل الميلاد.

سمي زرادشت في نصوص الافستا بتسمية (زرادشت سبيتاما)، وسبيتاما هذا كان لقب عائلته، ويرى بعض الباحثون بأن نسبه

يصل إلى سبيتاما الذي يعتقد انه جده التاسع لأبيه، أو ربما هي احد الصفات التي اطلقت على زرادشت بمعنى الطاهر او القدسي.

ويسمى زرادشت في اللغة الفهلوية الفارسية زرادشت وهو اسمه في الفارسية الحديثة، في حين يعرف في الفارسية القديمة زرادشترا، وقد اختلفت الآراء بشأن معنى تسمية زرادشت، لكن يرجح بعضهم ان لهذه التسمية ثلاثة معانٍ هي (الذهبي، والضوء، والجمال)، أو صاحب (الجمال الذهبية)، وذلك كون تسمية زرادشت يتألف من مقطعين (زرت بمعنى اصفر) و(اوشتره بمعنى الجمال) (يوسفي،٢٠١٢،27-44-47).

اما والد زرادشت فهو بورشاسب بن مدراسف بن منوشهر الملك والاشهر في نسبه انه زرادشت بن سبتمان، اما والدته تسمى دوغدوغه او دوغد(وافي،١٤٧،٢٠٠١). وتشير المصادر الى ان زرادشت ولد حوالي عام ٦٦٠ ق.م في أذربيجان (شمال غربي ايران) في ظروف كانت تشبه ولادة السيد المسيح (عليه السلام) ونشأ في بيئة ريفية متواضعة لا تستطيع ان تحمي نفسها من هجمات جيرانها، فكان اكثر ما يشغله ان ينجو باسرته من غزو القبائل الرحل التي تهددهم، كما يذكر انه قام بزيارة فلسطين و لم يطمئن لليهود فعاد إلى بلاده واخذ يرسي قواعد عقيدته الدينية الجديدة، لكنه لم ينجح، فقد واجه الكثير من الصعوبات والعقبات. إذ لم يجد من أبناء قومه وعشيرته من يؤمن به، ودلالة على ذلك ما ذكر في نصوص الافستا بالقول: "**إلى أي ارض اتجه، إلى اين اذهب، بعيد انا عن الوطن وزعماء القبيلة وقبيلتي لا تعترف بي، ولا يعترف بي رؤساء البلاد أولئك ال عابدون للكذب، كيف استطيع ان أرضيك، يا اهورامزدا؟**"(يوسفي،٢٠١٢،٥٢-٥٣).

فضلاً عما لقي من الاعراض والاستهزاء من زعماء قبيلته المدعون بـــ(كافي kavi) وكهانها الذين يطلق عليهم تسمية (كارابان) (وهم طبقة من كهنة الديانات الوثنية القديمة)، وتذكر الافستا ذلك بقول: "**بكل قواهم يثير الكاربانيون والكافيون الناس على الأفعال الشريرة من اجل القضاء على الحياة اما أولئك الذين ستخشي ارواحهم وضمائرهم، عندئذ، سيصلون إلى المكان الذي يقع فيه جسر جينوات**"؟"(يوسفي،٢٠١٢،٥١-٥٢).

وبعد فشل زرادشت في اقناع قومه باعتناق عقيدته وتلقيه المعاملة السيئة منهم كلفة الإلهة اهورامزدا بالتوجه شرقاً نحو الملك كشتاسب ودعوته إلى الدين ، وتشير نصوص الافستا إلى ذلك بالقول: "**الإله اهورامزدا: أيا زرادشت، من الرجل الحق الذي يكون صديقك الحميم لاجل السر العظيم الذي يرغب في سماعه، انه الأمير كشتاسب، في الاختيار الحاسم هذا الذي سيجتمع معك في مقر واحد**(الرحمن،٢٠٠٨،٨٤)، وقد اكرمه الملك وخصص له جناحاً في القصر وامن بدعوته، وصارت لزرادشت كلمة مسموعة عند الملك يستثيره في شؤون المملكة، ودلالة على ذلك ما تشير الافستا بالقول: "**ان الملك كشتاسب قد اعتنق العقيدة التي اوجدها اهورامزدا الإله الحق المقدس، لقد قبل بالعهد، وأقر بحجته، كما تقبل الدعوة إلى الطريق الكرم والإحسان، فليتم هذا طبقاً لمشيئتك.** اما عن نهاية حياة زرادشت فقد اختلفت الروايات بشأن ذلك، لكن المصادر البلهوية القديمة تذكر انه قتل عن عمر يناهز سبعة وسبعين عاماً في الهجوم الذي شن من قبل التورانين (الترك) على معبد النار في بلخ (باكتريا)، وكان زرادشت كعادته يؤدي طقوس الصلاة في المعبد(يوسفي،٢٠١٢،55-56) .

ب. الافستا:

ان أي دراسة عن الديانة الزرادشتية لابد ان تعتمد وتتطرق بشكل أساس إلى الافستا (Avesta) الكتاب الديني المقدس للزرادشتين، والديانة الزرادشتية مثل معظم الأديان الأخرى تستند بمعتقداتها وعبادتها وطقوسها على كتاب قديم ومقدس يؤمن الزرادشتيون ايماناً كاملاً بما ورد فيه، ويستعملونه اطاراً ومرجعاً دينياً لهم وكتابهم هذا هو الافستا.

وتلفظ الافستا باللغات الإيرانية باشكال مختلفة هي:(اوستا، ابستا، افستا) واللفظ الأخير هو الأشهر، وفي اللغة الفهلوية تلفظ (افستاك)، وفي السريانية (ابستاكا)، والعربية (الابستاق)، ويسمى في نقوش بيستون (ابتسام).

وتشير كلمة الافستا إلى معانٍ ودلالات عدة منها: انها تعني المتن، الأصل، الحمى، الملاذ، ذلك لأنها مشتقة من كلمة يوبستا (Upsta) التي تعني الأساس أو البنيان أو الأصل، بينما يذكر بعض الباحثين ان الافستا جاءت بمعنى المعرفة (الحكمة)، ذلك انها مشتقة

من الكلمة الآرية (فيد) بمعنى (يعرف). اما تاريخ تدوين الافستا فكان موضع اختلاف ما بين الباحثين كاختلافهم في أمر زرادشت، فيذكر كلدنر (Geldiner) ان ظهور هذا الكتاب لا يمكن ان يكون قبل سنة (٥٦٠ ق.م) (يوسفي،٢٠١٢،٣٥) ، ويعتقد كيرشمن ان بداية ظهوره تعود إلى سنة (٥٥٠ ق.م)، وتبدو هذه التواريخ قريبة إلى ارض الواقع، بما ان تاريخ ظهور الديانة الزرادشتية في القرن السادس قبل الميلاد، وعليه فأن المدة المحصورة ما بين (٦٠٠-٥٠٠ ق.م) هي اقرب التواريخ للظهور الافستا (الكرعاوي،٢٠١٢،١٤٧)، لكن على الرغم من البحوث والدراسات العديدة والحديثة منها بشأن الافستا، ما يزال تاريخ تدوينها وتأليفها موضع جدل مابين الباحثين إلى الوقت الحاضر (الرحمن،٢٠٠٨،١٧). وتشير المصادر الى ان زرادشت كتب الافستا في اثني عشر الف مجلد بالذهب يشمل على الوعد والوعيد والأمر والنهي، والشرائع والعبادات، وقد استعمل اللغة الفهلوية الفارسية القديمة في تدوين كتابة هذا.

وتعد الافستا سجلاً كاملاً ومفصلاً للديانة الزرادشتية، إذ يقدم للباحث وصفاً مفصلاً عن تاريخ الزرادشتية ومراحل انتشارها، فظلا عن قصة حياة زرادشت وسيرته الشخصية قبل الرسالة وبعدها(صحراوي،٢٠١٦،٥٧). وتضم الافستا مجموعة مضطربة من الادعية والصلوات والاغاني والاساطير والوصفات وقواعد الاخلاق ودلالات الأفكار في المعتقد الزرادشتي.والافستا التي بين أيدينا تمثل ربع الافستا التي وجدت في العهد الساساني، فيذكر الباحث west ان الأقسام التي كانت تتألف منها الافستا تحتوي على (٣٤٣) الف كلمة لم يبق منها سوى (٨٣) الف كلمة، إذ فقدت جميع أجزاء الافستا بعد غزو الاسكندر الأكبر لبلاد فارس سنة (٣٣٠ ق.م) وفقدت معها جميع تفاسيرها، ولم يبق من نص الافستا التي قسمت الى واحد وعشرين سفراً إلا سفر واحد وصلنا بشكل كامل، والتي قسم على خمسة أجزاء هي:

١. **اليسنا (Yasna)**: جاءت هذه الكلمة في الافستا بمعنى العبادة والسلام والحمد والدعاء والتسبيح، وتعد اليسنا فاتحة اقسام الكتاب الديني وتتألف من (٧٢) فصلاً (باب)، يطلق على كل فصل (هات) أو (هايتي)، وتشمل اليسنا مجموعة الأناشيد والاشعار والادعية التي دونها زرادشت مع عدد من تلاميذه وهو ما يعرف بـــ(الكاتات) (اقدم أجزاء الافستا)، والتي دونت بالغة الفارسية القديمة، وهي لغة تختلف عن اللغة التي كتبت بها الأجزاء الأخرى من الافستا(كريستنسن،١٩٨٢،١٣١).

٢. **الونديداد**: معناه (قانون ضد الشياطين): وهو السفر الذي وصلنا كاملاً ويتألف من اثنين وعشرين فصلاً يطلق على كل فصل (فركرد أو بركرداد)، ويتحدث عن خلق العالم والسموات والأرض ثم يبين العقائد والشرائع الزرادشتية المتعلقة بالموت والزواج ومشكلات الحياة الاجتماعية والنجاسة والغسل والطهارة وغسل الموتى وتطهير الملابس والبدن والصحة وحفظ العقود ونقضها.

٣. **ويسبرد**: يبحث في الادعية التي ترفع إلى رئيس الالهة اهورمزدا، ويتألف من أربعة وعشرين فصلاً، يطلق على كل فصل منها (كرده) كما ويشمل على ادعية وصلوات مكملة ومرتبطة بسفر اليسنا وشرحها.

٤. **اليشتات**: يسمى أيضاً (يشتها) وتعني (العبادة والتسبيح)، وهي الادعية التي تتلى في الصلوات وعند تقديم الأضاحي أمام النار المقدسة، وأيضاً عند تقديم قربان الهوما، وتتألف من واحد وعشرون فصلاً يطلق على كل فصل (كرده).

٥. **خرده اوستا**: سميت باللغة الفهلوية (خورنك ابستان)، وتعني(الافستا الصغرى) وتشمل على سلسلة من الادعية والصلوات المختصرة التي يجب على كل زرادشتي تلاوتها في كل الأوقات والصلوات والاعياد الدينية الرسمية، وتعد من اكثر الكتب الدينية المنتشرة بين معتنقي الديانة الزرادشتية لبساطتها، إذ ان فصول هذا الكتاب وادعيته مستخرجة من الافستا الكبير مع ادخال تعديل في اول وآخر كل منها يلائم الصلاة والدعاء في كل مناسبة(يوسفي،٢٠١٢،٣٩).

اما (زندافستا) فتعني تفسير الافستا، والذي قدمه زرادشت تفسيراً للافستا عندما عجز الفرس عن فهم معنى الافستا، ومن ثم عمل لتفسيره تفسيرا سماه (بازند) وبعد وفاة زرادشت عمل علماء

الفرس تفسيراً ثالثاً لتفسير التفسير وهو الايارده (وافي،٢٠٠١،١٦٣).

٤. المبحث الثالث: العقيدة الدينية للملوك الأخمينيين وأسسها الفكرية والسياسية

١.٤ المطلب الاول: مرتكزات الديانة الأخمينية وصلتها بالموروث الآري والزرادشتي في إطار الشرعية الإمبراطورية.

اختلفت الآراء التي وصفت العقيدة الدينية للملوك الاخمينيين، فمنها ما يرى ان الملوك الاخمينيين كانوا من اتباع العقيدة الزرادشتية، ورأى اخر يذكر انهم عبدوا إلهة متعددة، مع احتفاظهم بعبادة الإله اهورامزدا، وهناك من يعتقد انهم افردوا عبادة الإلهة اناهيتا وميثرا على عبادة الإله الرئيس اهورامزد(رضى،٢٠،١٣٧١). وبناءً على تعدد الآراء نجد من الصعب ان نحدد بصورة دقيقة ماهية العقيدة الدينية لملوك السلالة الاخمينية الحاكمة، لكن بالرغم من ذلك نجد مصدر لمعلوماتنا عن ديانة الملوك الاخمينين في الكتابات الملكية العائدة لأولئك الملوك، وهي نقوش مسمارية تبدو اشبه بالمراسيم أو التصريحات الملكية التي يصدرها الملك نفسه(مالاند،١٣٩٣،٧٧).

وتزودنا تلك النقوش بمعلومات محددة عن المعتقد الديني للسلطة الاخمينية الحاكمة، إذ يتضح من كتابات معظم الملوك الاخمينيين بأنهم استعملوا أيديولجية دينية تماشي وتخدم الظروف السياسية في البلدان التي تقبع لسيطرتهم، وذلك لكسب ود وطاعة تلك الشعوب ولتبرير شرعيتهم في الحكم(شارب،٢٣،١٣٨٨-٢١)، ودلالة على ذلك ما نشاهد في أسطوانة الملك قورش الثاني، إذ يشر في بنود تلك الأسطوانة إلى ضرورة احترام إلهة بابل (الإله مردوخ)، وأنه (أي قورش) جاء محرراً للبلاد بابل بأمر من إله بابل (الإله مردوخ)، فظلاً عما قام به الملك قورش الثاني من أعمال عمرانية لمعابد مختلف البلدان التابعة، واحترامه لعقائد واديان اليهود، فإذا ما نظرنا للايديولوجية السياسية التي استعملها الملك قورش الثاني تجاه البلدان التابعة نجده انتهج سياسية التسامح مع جميع العقائد والأديان الخاصة بتلك البلدان التابعة(باقر،٢٠١١،٦٣٣)، أما مايخص بلاد ايران فقد عرف الملك قورش الثاني بأيمانه واحترامه للإله الرئيس اهورامزدا، إضافة إلى تقديسه الإلهة ميثرا واناهيتا، بدلالة تقديمه القرابين من الخيول البيضاء للإله ميثرا، إذ كانت الخيول تقدم قرباناً للشمس في الأعياد التي يحضرها الملك، وفي الغالب تعد الشمس رمز للإله ميثرا، أما الامر الذي يؤكد تقديسه وعبادته للإلهة اناهيتا، هو بناء معبد للإلهة اناهيتا في العاصمة باساكارد قرب عين ماء عرفت بـــ (عين اناهيتا) (سمار، ٢٠١٦، 115-١١٦).

ومما تقدم يتضح ان الملك قورش الثاني استعمل أيديولوجية دينية تخدم سياسته التوسعية، وبناءً على ذلك يمكننا وصف العقيدة الدينية للملك قورش الثاني بالتعددية في العبادات والتفريد، بمعنى ان قورش لم يتبن ديناً أو إلهاً رسميا لدولته، وذلك لوجود مختلف الأمم والقبائل التابعة ذات العقائد والاديان المختلفة، الأمر الذي اجبر قورش على تبني سياسة التسامح والحرية الدينية مع تلك البلدان. ويبدو ان الملك قمبيز الثاني انتهج سياسة والده (الملك قورش الثاني)، الدينية، إذ عرف بتسامحه مع جميع العقائد والأديان(فيما يخص البلدان التابعة) وذلك دلالة على ان الملك قمبيز الثاني لم يفرض أو يفضل عبادة إلهة محددة، بمعنى انه لم يكن له دين معين(بروسيوس،٨٢،١٣٨١-٨٣).

اما الملك داريوش الأول (٥٢٢ – ٤٨٦ ق.م) فيتضح من كتاباته بأن الإله اهورامزدا كان على رأس الإلهة التي يدين بها هذا الملك، بدلالة ما نشاهد في كتاباته ونقوشه والتي يمتدح فيها الإله اهورامزدا لمنحه السلطة، وبأنه بفضل الإله اهورامزدا حقق انتصاراته على اعدائه، فيذكر داريوش بقوله: "**انا الملك بأرادة اهورامزدا، اعطاني اهورامزدا ملكاً**"، ويضيف قائلاً: "**هذه البلدان التي أتت الي، بناءً على إرادة اهورامزدا، اطاعوني، قدموا لي جزية، وفعلوا ما اريد**" ويذكر أيضاً: "**هذا ما فعلته بناءً على طلب اهورامزدا في العام نفسه، بعد ان أصبحت ملكاً، لقد خضت تسعة عشر معركة بأرادة اهورامزدا، انتصرت بها جميعاً**"(لوكوك،١٣٨٢،٢٧٤).

ومن خلال ما أشار اليه الملك داريوش الأول في كتاباته نجد أنه كان زرادشتياً اكثر من غيره من الملوك الاخمينين، ومن النادر ما نجد الملك داريوش يطلب المساعد أو يمتدح إلهة أخرى غير الإله اهورامزدا، ودلالة على ذلك ما نشاهد في البند الخامس من نقش بيستون الشهير من قول الملك داريوش بما نصه: "**أصبحت ملكاً بأرادة اهورامزدا، هو الذي منحني المملكة**"، أيضاً جاء في البند

التاسع من النقش بما نصه: "**يقول داريوش: ساعدني اهورامزدا في الحصول على المملكة**(لوكوك،١٣٨٢،٢١٦).

وفي نقش رستم نشاهد داريوش يؤكد بأنه جرى اختياره من الإله اهورامزدا لإنقاذ الأرض من الفوضى والكذب، إذ ذكر ذلك بقوله: "**الإله العظيم اهورامزدا، الذي خلق هذا الأرض وخلق تلك السماء، وخلق الانسان، الذي خلق السعادة للإنسان، الذي جعل داريوش ملكاً بين كثيرين، أنا داريوش الملك العظيم ملك الملوك، ملك البلدان، ملك هذه الأرض العظيمة الواسعة، بعد ان رأى أهورامزدا هذه الأرض مليئة بالفوضى، جعلني ملكاً، بأرادة اهورامزدا انا ملك، حتى أتمكن من فعل ما يجب ان افعله، لقد انقذني اهورامزدا وعائلتي وبلدي من الأكاذيب**(مالاندرا،١٣٩١،٧٩-٨٠). وفي الوقت نفسه توجد ادلة أخرى تثبت ان الملك داريوش كان زرادشتياً في عقديته، بدلالة ان الملك داريوش يعدَّ اعماله قائمة على مبادئ مثل (الحق، والعدالة، والصدق، والسلام) وتعد هذه المبادئ من أهم ما نص عليه القانون الأخلاقي في الدين الزرادشتي(محمد،١٩٩٦،٢٣٧).

وبالرغم ما عرف به الملك داريوش الاول من انه زرادشتي في عقيدته لكن ذلك لا يعني انه لم يعترف بعباد (الإلهة الأخرى)، ودلالة على ذلك ما اظهره الملك داريوش الاول من احترام وتقديس مع جميع (الإلهة الأخرى) بالنسبة للبلدان والأمم التابعة للامبراطورية(بروسيوس،١٣٨١ ،٢٢٧-٢٢٩،).وفي عهد الملك احشويرش الأول-خشيارشا الأول (٤٨٦ – ٤٦٥ ق.م) استمرت عبادة الإله الأوحد اهورامزدا، إذ تشير كتابات الملك احشويرش الأول بأنه اعلى من شأن الإله اهورامزدا على (الإله الأخرى) في جميع انحاء امبراطورية، وما يؤكد ذلك مقولته ما نصها: "**الإله العظيم اهورامزدا، من خلق هذه الأرض، من خلق السماء، من خلق الناس، من خلق السعادة للناس، الذي جعل احشويرش الأول (خشيارشا الأول)، ملك، ملك كثير، واحد من ملوك كثيرين، الملك العظيم، ملك الملوك، ملك البلدان المختلفة، ملك هذه الأرض العظيمة البعيدة والواسعة، ابن داريوش الأول الاخميني**(رضى،١٣٨٥،١٩٤)"، وفي نص اخر يشير الملك احشويرش الأول إلى انه قضى على عبادة الشياطين ودمر معابدها في مختلف البلدان، بدلالة قوله: "**ساعدني اهورامزدا للتغلب على الفوضى في هذه الأرض، وبناءً على طلبها، استعدت النظام اليها، ومن بين هذه الأرض كان مكاناً في الماضي تقام فيه طقوس لعبادة الشياطين، ثم بعد ذلك بمساعدة اهورامزدا قمت بتدمير معابد الشياطين**(لوكوك،١٣٨٢،310-٣١١).

اما في كتابات الملك اردشير الثاني-ارتحشتا الثاني (٤٠٤ – ٣٥٩ ق.م) هنالك إشارات واضحة الى التغير الجذري في ديانة الملوك الاخمينين، بدلالة ما ذكره الملك اردشير الثاني في تلك الكتابات بقوله: "**اردشير الثاني الملك العظيم، ملك الملوك، ملك الأراضي، ملك هذه الأرض، ابن داريوش الثاني، وداريوش الثاني هو ابن اردشير الأول الملك، واردشير الأول ابن خشيارشا الأول الملك: وخشارشا الأول ابن داريوش الأول الملك، وداريوش الأول ابن فشتاسب الاخميني، هذا القصر الذي بينه بأرادة، اهورامزدا واناهيتا وميثرا، ليحمى اهورامزدا واناهيتا وميثرا ما بنيته من الشياطين والدمار**(لوكوك،١٣٨٢،٣٢٣).

ويلحظ من خلال كتابات الملك اردشير الثاني انه يثني ويمجد الإلهة اناهيتا وميثرا إلى جانب الإله اهورامزدا، مما يدل على إدخاله عبادة تلك الإلهة، كما وتشير المصادر ان الملك اردشير الثاني امر بأقامة مجسمات للإلهة اناهيتا وميثرا على ان توضع تلك المجسمات في معابد خصصت لعبادة الإلهة اناهيتا وميثرا، وكانت تلك المعابد في معظم عواصم امبراطوريته مثل بابل وشوش واكبتانا، فظلا عن ذلك اقام الملك اردشير الثاني مراسم تتويجه في معبد خصص لعبادة الإلهة اناهيتا في العاصمة باساركادا(بريان،١٣٨١، ٣٤٥-٣٤٦).

ويبدو ان غاية الملك اردشير الثاني من ادخال عبادة الإلهة اناهيتا وميثرا (لاسيما الإلهة اناهيتا) إلى جانب الإله اهورامزدا لم يكن بهدف التقليل من شأن عبادة الإله اهورامزدا، بل كان لأسباب عدة منها: أن الإلهة اناهيتا هي الإلهة المسؤولة عن وفرة المياه (أي رمز المياه)، وبسبب الجفاف الذي حل بمعظم العواصم التابعة للأمبراطورية الاخمينية في تلك الحقبة فقد امر الملك اردشير الثاني بعبادة الإلهة اناهيتا(بويس،١٣٧٤،٢٤٥).

إضافة إلى ذلك التمسنا سبب اخر لذكر الملك اردشير الثاني للإلهة اناهيتا، فمن الممكن ان نعزو سبب ذلك إلى التأثيرات الخارجية في الثقافة والمعتقد الاخميني، سيما التأثيرات الرافدينية (بهار،١٣٨١،٨١) إذ أن من الصفات والرموز التي اشتهرت بها

الإلهة عشتار هي (الشجاعة والقوة والخصب والجمال والحرب)، وكانت هذه الصفات مشابهة لما عرفت به الإلهة اناهيتا والإلهة ميثرا من وصف (بالروح الحربية القتالية، والشجاعة، والخصب) وقد وصفت الإلهة اناهيتا وميثرا بهذه الصفات منذ عهد الملكين اردشير الثاني وأردشير الثالث(علي،١٩٩١، ٣٠٨).

ويتضح لنا مما تقدم من دراسة مضامين الكتابات الدينية للملوك الاخمينيين حقائق عدة منها: ان الديانة الفارسية سيما الزرادشتية كانت حديثة العهد لذلك لم تخلو من المعتقدات القديمة لبلاد ايران، كما نجد في عبادة الإلهة اناهيتا وميثرا بأن معظم صفات هذه الإلهة تعود في اصلها إلى عبادات الاقوام الاصيلة، مما يدل على تأثر الفرس بتلك الاقوام قبل مجيئهم إلى بلاد ايران، إضافة إلى تأثرهم بالاقوام المتحضرة المجاورة سيما البابليين والمفت للنظر في تلك التغيرات التي طرأت على المعتقدات الدينية لبلاد ايران، ان الملوك الاخمينين لم يكن لهم إله أو دين رسمي محدد أفرضوا عبادته، بل تشير شواهد كتاباتهم ونقوشهم إلى انهم اتبعوا أيديولوجية سياسية قائمة على الحرية والتسامح الديني بالنسبة للبلدان التابعة للدولة الاخمينية، وان هذا النوع من الأيديولوجية هي ما يسمى بالتوظف السياسي للفكر الديني، بمعنى ان الملوك الاخميين استعملوا الدين كغطاء لتبرير او لتمرير السياسة التي انتهجوها لتحقيق الأهداف والطموحات الشخصية، وهي كسب ود وطاعة الشعوب التابعة، والاضفاء الشرعية لحكمهم(باقر،٢٠١١ ،٤٦٩-٤٧٠).

٥. خاتمة

سعى هذا البحث إلى تتبع التطور التاريخي للفكر الديني عند الأقوام الآرية الإيرانية، وتحليل أثره في صياغة ديانة الملوك الأخمينيين، من خلال قراءة تراكمية تستند إلى فهم البنية العقدية في سياقها الزمني والاجتماعي والسياسي. وقد أظهرت الدراسة أن المعتقدات الدينية لدى الآريين لم تكن منظومة جامدة أو منعزلة، بل تشكّلت عبر مسار تاريخي طويل ارتبط بتحولاتهم البيئية والاجتماعية، وأسهم في بناء تصور كوني قائم على النظام الأخلاقي والثنائية بين قوى الخير والشر.

كما تبيّن أن الديانة الأخمينية لم تمثل قطيعة مع هذا الموروث، بل جاءت بوصفها امتدادًا تاريخيًا له، أعيدت صياغته ضمن إطار الدولة الإمبراطورية. فقد وظّف الملوك الأخمينيون العناصر العقدية الراسخة في الوعي الآري، ولا سيما مفهوم الإله الأعلى والنظام الكوني، في إضفاء الشرعية على السلطة السياسية، مما يعكس تداخل البعدين الديني والسياسي في بنية الحكم الأخميني.

ومن خلال التحليل المقارن بين المرحلة الآرية السابقة والعصر الأخميني، يتضح أن التحول لم يكن في جوهر العقيدة بقدر ما كان في مستوى تنظيمها وتوظيفها الرسمي. فالدين الأخميني مثّل مرحلة نضج سياسي للفكر الديني الآري، حيث اندمجت المفاهيم الروحية القديمة في مشروع إمبراطوري واسع، دون أن تفقد جذورها التاريخية. وعليه، فإن فهم ديانة الملوك الأخمينيين لا يكتمل إلا بردّها إلى أصولها الآرية، بوصفها نتاجًا لتطور فكري وعقدي تراكمي، أسهم في تشكيل إحدى أبرز التجارب الدينية–السياسية في تاريخ إيران القديم.

النتائج

١. أثبتت الدراسة أن الفكر الديني لدى الأقوام الآرية الإيرانية نشأ في إطار تطور تاريخي تدريجي، ولم يكن نتيجة لحظة تأسيس مفردة أو تحول مفاجئ.
٢. تميزت العقيدة الآرية المبكرة ببنية تقوم على تقديس قوى الطبيعة والإيمان بنظام كوني أخلاقي، مع بروز واضح لفكرة الثنائية بين الخير والشر.
٣. شكّلت المفاهيم الآرية المتعلقة بالإله الأعلى والنظام الأخلاقي الأساس الذي انطلقت منه الصياغة الدينية في العصر الأخميني.
٤. لم تكن ديانة الملوك الأخمينيين انفصالًا عن الموروث الآري، بل جاءت امتدادًا منظمًا له، أعيدت صياغته بما يتلاءم مع متطلبات السلطة الإمبراطورية.
٥. لعبت العقيدة الدينية في العصر الأخميني دورًا محوريًا في إضفاء الشرعية على الحكم، من خلال ربط الملك بإرادة الإله الأعلى، وهو ما يعكس تداخلاً عضويًا بين الدين والسياسة.
٦. يمكن النظر إلى الديانة الأخمينية بوصفها مرحلة متقدمة في تطور الفكر الديني الإيراني القديم، حيث اندمج البعد العقائدي مع الشرعية السياسية للملوك الاخمينيين في إطار متكامل.
٧.

التوصيات والمقترحات البحثية

في ضوء ما توصلت إليه الدراسة من نتائج، يمكن تقديم جملة من التوصيات والمقترحات التي قد تُسهم في تعميق البحث في موضوع الفكر الديني الإيراني القديم:

١. ضرورة التوسع في الدراسات المقارنة بين الموروث الديني الآري الإيراني ونظيره الهندي القديم، للكشف بصورة أدق عن عناصر الاشتراك والتميّز، ولا سيما في ما يتعلق بالبنية الثنائية والتصور الكوني.

٢. إعادة قراءة النقوش الملكية الأخمينية قراءة تحليلية تتجاوز بعدها السياسي الظاهر، للكشف عن المضامين العقدية الكامنة فيها، ودراسة علاقتها بالموروث الديني السابق.

٣. تشجيع الدراسات التي تعالج العلاقة بين الدين والسلطة في إيران القديمة ضمن إطار نظري مقارن، يربط التجربة الأخمينية بالتجارب الإمبراطورية الأخرى في الشرق الأدنى القديم.

٤. الإفادة من الدراسات اللغوية والفيلولوجية الحديثة لنصوص الأفستا والنقوش الأخمينية، لما لها من دور في توضيح المفاهيم الدينية وتطور دلالاتها عبر الزمن.

٥. توجيه الاهتمام البحثي نحو دراسة البعد الاجتماعي للدين الآري، وعدم الاكتفاء بتحليل النصوص الرسمية، وذلك من خلال محاولة استقراء الممارسات الطقسية وأنماط التدين الشعبي.

٦. اقتراح إعداد دراسات متخصصة حول مفهوم الشرعية الإلهية في الفكر السياسي الأخميني، بوصفه امتدادًا للموروث العقدي الآري، مع تحليل أبعاده الفلسفية والتاريخية.

وختامًا، فإن موضوع الفكر الديني للأقوام الآرية الإيرانية وأثره في ديانة الملوك الأخمينيين ما يزال مجالًا خصبًا للبحث، نظرًا لتداخله بين التاريخ والدين والسياسة، ولما يحمله من أهمية في فهم تشكل الهوية الدينية والفكرية في إيران القديمة.

تضارب المصالح

يؤكد الباحث/الباحثون عدم وجود أي تضارب في المصالح المالية أو المهنية أو الشخصية قد يؤثر في تصميم الدراسة أو تحليل البيانات أو تفسير النتائج أو نشرها، وأن جميع الإجراءات البحثية تمت وفق معايير النزاهة والموضوعية العلمية.

– المصادر والمراجع:

اولا: المراجع العربية والمعربة

١. الرحمن، خليل عبد ،الافستا، الكتاب المقدس للديانة الزرادشتية ، (سوريا: روافد للثقافة والفنون، ٢٠٠٨).

٢. باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة –الوجيز في تاريخ حضارة وادي الرافدين، (بغداد: دار الوراق، ٢٠١١)، ج١.

٣. ديورانت، ول وايريل، قصته الحضارة "نشأة الحضارة"، ترجمة: زكي نجيب محمود (بيروت: بلا مط، ١٩٤٩)، ج١.

٤. السواح، فراس، الرحمن والشيطان – الثنوية الكونية ولاهوت التاريخ في الديانات المشرقية، (دمشق: دار علاء الدين، ٢٠٠٤).

٥. علي، فاضل عبد الواحد، المعتقدات الدينية (موسوعة الموصل الحضارية)، (الموصل ،١٩٩١)، مج١.

٦. كريستنسن، أرثر، ايران في عهد الساسانيين، ترجمة: يحيى الخشاب، (بيروت: دار النهضة العربية، ١٩٨٢).

٧. كفاحي، محمد عبد السلام، في ادب الفرس وحضاراتهم، (بيروت: دار النهضة العربية، ١٩٧١).

٨. لوبون، غوستاف، حضارة الهند، ترجمة: عادل زعيتر، (القاهرة: دار العالم العربي، ٢٠٠٩).

٩. محمد، جميلة عبد الكريم، قورينائية والفرس الاخمينيون – منذ انشاء قوريني حتى سقوط أسرة باتوس، (بيروت: دار النهضة العربية، ١٩٩٦).

١٠. مظهر، سليمان، قصة الديانات (مصر: مكتبة مدبولي، ١٩٩٥).

١١. وافي، علي عبد الواحد، الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام، (مصر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر، ٢٠٠١).

١٢. يوسفي، جمشيد، الزرادشتية – الديانة والطقوس والتحولات اللاحقة بناء على نصوص الافستا، (بيروت: منشورات زين، ٢٠١٢).

ثانياً: المصادر والمراجع الفارسية.

١٣. بروسيوس، ماريا، زنان هخامنشى، ترجمه، هايدة مشايخ (تهران: انتشارت هرمس، ١٣٨١) چاپ أول.

١٤. بريان، پير، امپراطورى هخامنشى، ترجمه: فروغان، (تهران: نشر فرزان روز، ١٣٨١) جلد اول.

١٥. بهار ، مهرداد، از اسطوره تا تاريخ، گردا ورنده و ويراستار: ابو القاسم اسماعيل پور (تهران: نشر جشمه، ١٣٨٤).

١٦. بويس، مرى، تاريخ كيش زرتشت (هخامنشى)، ترجمه: همايون صنعتى زاده، (تهران: نشر توس، ١٣٧٤).

١٧. رضى، هاشم، تاريخ مطالعات دين هاى ايران، (تهران: انتشارات بهجت، ١٣٧١)، چلپ دوم.

١٨. شارپ رلف نارمن، فرمان های شاهنشاهان هخامنشی که به زبان آریایي (پارسی باستان) ، (تهران، مؤسسه فرهنگی وانتشاراتي پازینة، ١٣٨٨) چاپ سوم.
١٩. لوكوك، پی یر، كتیبه های هخامنشی، ترجمه، نازیلا خلخالی، (تهران: كتاب خانه ملی ایران، ١٣٨٢) چاپ اول.
٢٠. مالاندرا، ویلیام، مقدمة ای بر دین ایران باستان، ترجمه: خسرو قلی زاده، (تهران: بنگاه ترجم ونشر كتاب پارسه، ١٣٩١).

ثالثاً: الدوريات

٢١. سمار، سعد عبود ، أثر الميثولوجيا الدينية في السياسة التوسعية للدولة الاخمينية، (٥٩٩-٣٣٠ ق. م) مجله حضارات الشرق الأدنى القديم، جامعة الزقازيق، المعهد العالي لحضارات الشرق الأدنى القديم، ع الثاني، ٢٠١٦.
٢٢. السواح، فراس، لاهوت ابليس الملاك الساقط، مجله كتابات، ع٣، ٢٠١٣.
٢٣. الشمري، طالب منعم حبيب، و رنا كاظم معن، الزرادشتية ثنوية ام توحيد، مجلة كلية التربية، جامعة واسط، ع١١.

رابعاً: الرسائل والاطاريح

٢٤. صحراوي، نصيرة، الديانات القديمة في بلاد فارس (الزرادشتية انموذجاً – ٦٦٠ ق.م – ٦٥١ م)، رسالة ماجستير، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية في جامعة الشهيد حمه لخضر، ٢٠١٥ –٢٠١٦.
٢٥. الگرعاوي، ايمان لفته حسين، الدين والسياسية في الدولة الاخمينية (٥٥٨-٣٣٠ ق.م) أطروحة دكتوراه في جامعة واسط – كلية التربية، ٢٠١٢.
٢٦. الموسوي، جاسب مجيد جاسم، الدين والمعتقد في حضارة بلاد وادي الرافدين وأثره في الفكر الديني في حضارة بلاد ايران خلال المدة (٣٠٠٠ ق.م –٦٤٢ ق.م)، دراسة مقارنة، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب: جامعة بغداد ، ٢٠٠٧.